لسانيات الترجمة بين تداخل الثقافات وتداخل اللغات

د. رضوان قضماني*

لا أدري ما الذي يدفعني كلما تحدثت عن العلاقة بين الترجمة واللغة، بين الترجمة وتداخل الثقافات بين الترجمة وتداخل اللغات، أن أتذكر المقال الذي كتبه الأستاذ محمد كرد علي ونشرته مجلة مجمع اللغة العربية عام 1946[1] والذي يقول فيه:

"لا أكتمكم يا سادتي أن سمعي لم يتألم قط من شيء أكثر من لفظ أو إضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم الترجمة فنسبوا الى التربية (التربوي)، وأتونا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو قلنا لأهل عصور زهو العربية بالطلاق والعتاق إنها عربية ما صدقوا وما آمنوا. جاءنا متفاصحو المترجمين بتركيب، النزعة الواقعية، القوة الوجدانية، الذاتي، الموضوعي، الإقليمي،...الفكرة الأساسية، الطريقة الأعتباطية، السبب المباشر...تغلب العناصر التقدمية على الرجعية، تفرض نفسها على اتجاهات السياسة...ضرب الرقم القياسي...النزعة السياسية، عمل على ضوء كذا، رفع رأس أمته عالياً، استغل الموقف...الوعي القومي...سرّ المهنة، فقيد الواجب، التربية المثالية، المجال الحيوي، الشخصيات البارزة، السوق السوداء..."

ويستمر الأستاذ كرد علي في سرد هذه المفردات والتراكيب التي دخلت اليوم ـ بفضل احتكاك اللغات والثقافات وتداخل ـ صلب لغتنا المعاصرة و لم يعد لهذه اللغة غنى عنها، ثم يضيف قائلا: "ألا تصابون بالبرداء، وقاكم الله شرها، إذا سمعتم مترجماً يقول:هذا الشعور ليس سلبياً بل إيجابي، وتربية فلان الإيجابية العالية، المركز الاستثنائي...الخ"، وليس من شك أن من الصعب جداً على المرء اليوم أن يشارك أعضاء مجمع اللغة العربية في عام 1946 استنكارهم هذه الألفاظ، بل من الصعب جداً علينا اليوم، مترجمين ومؤلفين أن نتصور إمكانية التعبير عن قضايا حياتنا المعاصرة وشؤونها دون أن نستعمل هذه المفردات والتراكيب. ولا أعتقد إلا أن المرحوم كرد علي كان قد قرأ عبارات مثل (جهار

* الدكتور رضوان قضماني أستاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة البعث - حمص - سورية.

سوك) و (بازار) عند الجاحظ وغيره، ولا أدري لماذا لم يصب حينها بالبرداء؟

إن التأمل فيما قاله الاستاذ محمد كرد علي يدفعنا إلى النظر في علاقة مسائل عدة، بعضها ببعض مثل علاقة الترجمة باللغة، وعلاقتهما معاً بالثقافة، وعلاقتهن جميعاً بالعصر والحضارة والمجتمع والتقدم...وما تؤدي إليه هذه العلاقات من تداخل في الثقافات، تقود حتماً إلى تداخل في اللغات.

لننظر في بعض المفهومات التي تفرزها هذه القضايا:

يشير الدكتور عبده عبود إلى المواقف المختلفة من تأثير الترجمة في الثقافات العربية ويضع هذه المواقف في تقابل ثنائي يستبعد كل من قطبيه الآخر وينفيه ثم يصل من ذلك كله إلى استنتاج خلاصته أن "تأييد الترجمة ومعارضتها لا يصدران بالضرورة عن موقفين ايديولوجيين، وإنما عن موقفين متضاربين من قضايا الثقافة"[2] وهذا الاستنتاج يضطرنا إلى تحديد فهمنا للثقافة، باختصار شديد إلى التكثيف.

الثقافة نتاج خلقه النشاط الإنساني، وهي واحدة من وظائف هذا النشاط (الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعلمي والأخلاقي والديني والجمالي...واللغوي أيضاً) فهي تعني كل ما يتميز به الفن والأدب والأعراف والمؤسسات الاجتماعية، إنها حصيلة للقيم المادية والروحية التي خلقها الإنسان وتراكمت عبر مسيرة التاريخ. فإذا تناولنا الثقافة من زاوية أخرى، زاوية حيويتها وأهميتها وجدنا أنها صقل الإنسان للطبيعة وصقله لنفسه أتضاً[3] . وإذا أقررنا ان الوظيفة لايمكن لها أن توجد دون حاملها، فلا بد من أن نعترف أنه لا وجود للثقافة دون لغة وكلاهما لا يمكن أن يكون لهما وجود خارج مجتمع يرتبطان به. إنها نتاج تفاعل الإنسان مع معطيات الحياة والطبيعة سعياً إلى حياة أفضل يحققها في ذاته وفي تعامله وتفاعله مع الآخرين.

الثقافة مرهونة شرطياً بالمكان والزمان، مما يكسبها طابع الثبات النسبي والحركة النسبية، أي يجعلها تدخل في التقابل النسبي الذي حدده سوسور للغة، وهو التزامن/ التعاقب Synchronique-diachronique وما قاله سوسور في هذا الخصوص عن اللغة ينطبق تماماً على الثقافة، التي يمكن أن ننظر إليها على أنها حالة تواصل دائم وحركة لا تنقطع، ليس بين أفراد مجتمع واحد معين وحسب، بل بين مجتمعات مختلفة حيث تؤدي الاتصالات بينها إلى تواصل ثقافي. وكلما ازدادت فاعلية آليات التواصيل ازدادت الصلات بين الثقافات توثقاً.وكما أن لعملية التواصل مساراً ثنائياً: إرسال - تلقي - إرسال، كذلك فإن للثقافة مساراً ثنائياً يلتقي مع مسار التواصل ذاك، مما يجعل الثقافة تقوم على التواصل والتداخل في آن واحد..

وإذا كانت اللغة أداة التواصل فهي ليست أداة حيادية باهتة، إذ إنها أداة للتحكم بقدر ما هي أداة للتواصل. وعليه فهي تسمح بنقل المضمون الثقافي نقلاً أميناً كما تسمح بتزييفه. وإذا كانت اللغة وعاءً ينصب فيه وعي الإنسان فإنها بحكم طبيعتها تسمح بتزييف هذا الوعي من دون أن يعي الإنسان- بطبيعة الحال- هذا التزييف[4] ، لذا فهي أخطر ظاهرة في الحياة البشرية، لأنها ليست الأشياء بعينها، بل البديل المقابل لها في الذهن[5]. وفي هذا تبرز خطورة علاقة التواصل اللغوي بالترجمة، لأن الترجمة نمط من النشاط الفكري والفني والعلمي والأديولوجي أيضاً، يؤدي إلى توسيع التشارك الثقافي[6] لإيجاد التوازن المطلوب بين عالمين حضاريين ولغويين مختلفين. وإذا كانت الترجمة وسيلة التبادل الثقافي بين البلدان الناطقة بلغات مختلفة فإن ميزان هذا التبادل بين النصوص الناطقة بالعربية والنصوص الناطقة بلغات بلدان الغرب المتقدمة خاسر، إذ نجد أنه تبادل غير متوازن ، يسيطر فيه طرف على الآخر، والهجرة إلى الشمال لّما يحن موعدها بعد، إذ لا يزال موسم الهجرة من الشمال مسيطراً، ولا يزال التبادل الثقافي مع بلدان "العالم الثالث" يشغل مكانة ثانوية جداً، فعدد الكتب المترجمة في الغرب لمؤلفين من بلدان "العالم الثالث" يشكل نسبة ضئيلة جداً إذا ما قورنت بعدد ما يترجم في بلدان العالم الثالث من كتب لمؤلفين من البلدان الغربية المتقدمة. لقد غاب التوازن لتحل محله الهيمنة، وكل ما ينقل من العربية إلى لغات الغرب المتقدم مرتبط أساساً بالمؤسسات الاستشراقية ارتباطاً وثيقاً.

يرى بعضهم- هيردر مثلاً- أن اللغة والفكر يسيطران سيطرة تامة على الثقافة. وانطلقوا من هذا الفهم ليحددوا اصطلاحاً جديداً هو "لغة الثقافة" (langce de culture) الذي يرفضه أكثر علماء اللسانيات، والذي يقول بوجود لغات حاملة للثقافة- كالفرنسية والإنكليزية- أي: لغات أوصلت الثقافة العالمية إلى مستوى رفيع من مستويات التقدم الإنساني، ولغات بدائية تستهلك تلك الثقافة، بينما ينطلق اللسانيون من علم الإناسة antropology ليؤكدوا أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتميز بها أيضاً.

يرى كثير من الباحثين- ساپير و هورف مثلاً- أن المتحدث بلغتين يمتلك نظرتين غير متعارضتين إلى العالم، فهو ينتقل من نظرة إلى الأخرى كما ينتقل من لغة إلى أخرى. ويوافق المترجمون في أحايين كثيرة- إذا لم يكن دائماً- على أن ما يكتب أو يقال بإحدى اللغات يمكن أن يقال أو يكتب بلغة أخرى- لكن جون ليونز يرى أن المسألة ليست كذلك، لأنها مرتبطة بالترميز العلامي. فالترميز العلامي أمر نسبي في اللغات ويؤدي إلى فروق كثيرة فيها. ويقول "من المعروف أن مفردات اللغات تبدو غير متماثلة نسبياً- إلى

درجة كبيرة أو صغيرة- حتى أننا نجد إمكانية عالية لترميز شيء ما في إحدى اللغات ولا نجد إمكانية ترميز مثل هذه في لغة أخرى"[8]. ويضرب مثالاً على ذلك أن المتزحلقين على الثلج مثلاً يستخدمون تعبيرات عدة للتميز بين أنواع الثلج إذ يبلغ أهتمامهم به أهتمام شعب الأسكيمو، فهم يلجؤون إلى تعبيرات مثل "مسحوق الثلج" أو "الثلج الحلزوني" أو "ثلج الربيع" أو غير ذلك من المفردات التي تكتسب باستعمالها المتكرر والمردد والثابت معاني إيجابية يقترب كل منها في مكانته داخل مجموعة معينة من وضع المفردة في متن اللغة، وهذا يدل على أن ظاهرة محددة يمكن أن تُرَمّزَ في لغة ما ترميزاً يفوق في دلالته ترميز المجتمعات الأخرى.

يمكن أن نقسم الترميز إلى ترميز مرجعي، لا يختلف بين لغة وأخرى بسبب ثبوت المرجع مثل طاولة، امرأة، يعيش، يموت...وعلى ترميز شخصي ينشأ عندما يعبر الفرد عن نفسه بطريقته أي عندما يُحمّل المفردة ترميزاً شخصياً ليس بالإجتماعي وهو ما يسمى عادة باللهجة الشخصية (idiolect) فيخلق بذلك مشكلة في الترجمة تُضطر المترجم إلى معالجة خاصة لها، وعلى ترميز ثقافي يجعل اللغة مثقلة بالمدلولات الثقافية فتبرز هنا أيضاً مشكلة في الترجمة إذا لم يكن هناك تداخل ثقافي بين اللغتين (المصدر والهدف) يقضي على هذه الإشكالية.

فكلمات روسية مثل (steppe سهب) و (dacha كوخ ريفي روسي) وكلمة مثل (Monsoon ريح موسمية هندية) أو (tagliatell نوع من المعكرونة الباستا الإيطالية) كلمات ثقافية. عندما طرح غورباتشوف نظريته الإصلاحية البيريسترويكا ظهر هذا الإصطلاح على الوجود لا بدلالته الحرفية: إعادة البناء، بل حُمّل عبئاً دلالياً ثقافياً ثقيلاً، وقد أدى هذا الترميز الجديد في العلامة اللغوية إلى نشوء حقل دلالي جديد أيضاً وخاص به فـ:

الذي يترجم في الأدبيات السياسية والصحافية إلى العلنية، وهي مفردة بدلالة جديدة ظهرت نتيجة للتركيز الثقافي الذي أدى إلى توليد علامات جديدة في اللغة. أن التركيز الثقافي في الترميز العلامي يشمل ما تتضمنه الثقافة من أسلوب في الحياة وطريقة في المعيشة ومظاهر خاصة في السلوك اليومي تظهرها اللغة الثقافية عندما تفرخ فيضاً هائلاً من العلامات للدلالة على ذلك. ولكل شعب تركيزه الثقافي الخاص به، فهو يظهر عند الفرنسيين في مجال الخمور و الأجبان، وعند الألمان في مجال السجق، وعند الأسبان في مجال مصارعة الثيران، وعند العرب في مجال الجمال، وعند الإنكليز والفرنسيين فيما يتبادلونه من إتهامات في مجال الجنس، ولكل ثقافة من الثقافات مفرداتها المثقلة بمدلولها الثقافي للدلالة على المشروب الشعبي فيها مثل

(Vodka فودكا)، (grappa الغراب)، و (silvovitz ليفوفيتش)، و (sake ساكي)، و (Schnaps شنابس)، و (gin الجين) سابقاً لأنه الآن لم يعد شعبياً، فهي علامات تحمل تركيزاً ثقافياً يخلق مشكلة في الترجمة ما لم يكن هناك تداخل ثقافي، كما أن كثيراً من الأعراف والتقاليد التي تُرَمَّزُ ترميزاً مرجعياً بعلامات عادية مع أنها تحمل تركيزاً ثقافياً مثل تدشين المشروع، نخبك تُشَتَّتُ الترجمة الحرفية هذا التركيز في ترميز العلامة في اللغة الهدف، وقد أشار البروفيسور بيتر نيومارك إلى أن معظم هذه الكلمات الثقافية سهلة الاكتشاف لأنها تترافق مع لغة خاصة أوجدها التداخل الثقافي ولا يجوز أن تترجم حرفياً[9].

لنحاول أن نحدد الآن كلاً من التداخل الثقافي والتداخل اللغوي، يرى جون ليونز أن لدى اللغات بنية تحتية عامة Universal substaucture في مفرداتها وقواعدها تحديداً، وقد يمتد ذلك إلى صوتياتها الوظيفية، كما أن لديها بنية فوقية غير عامة non-u niversal substaucture لا تقوم على البنية التحتية وحسب، بل تمتزج بها بشكل عام. إن البنية التحتية العامة في اللغة تحددها ملكات عقل الإنسان المعرفية وهي ملكات تنتج عن تفاعل عوامل وراثية معرفية وغير معرفية مع العالم الفيزيائي الطبيعي في هيئته التي تبدو فيها للأنسان. فاكتساب اللغة هو انتقال لهذه البنية التحتية العامة، أي لكل ما هو عام في اللغة، وهو انتقال يعتمد نجاحه على عملية الانتقال الثقافي.

يجعل الانتقال الثقافي البنية الفوقية في اللغة أوضح بمعنيين، إذ يعني هذا الكفاية اللغوية lunguistic copetence التي لا تنتقل من جيل إلى آخر عبر مؤسسات اجتماعية وحسب، يعني أيضاً أن ما يتم نقله من جيل إلى آخر يُعدّ بحد ذاته بنية ثقافية في ذلك المجتمع. وإذا كانت الكفاية اللغوية في لغة محددة تعني القدرة على فهم جمل هذه اللغة وانتاجها، فمن البديهي أنها تشكل جزءاً من ثقافة ذلك المجتمع، أي جزءاً من المعرفة الاجتماعية، إذ تقوم كثير من التعبيرات على الثقافة، ليس في دلالتها الاجتماعية والتعبيرية وحسب، بل على دلالتها الوصفية أيضاً. لذا فإن المسألة ليست في أن ترجمة التعبيرات الثقافية لا يمكن أن تتم دون أن ينالها شيء من التشويه، ولا في أن ترجمتها تتم باللجوء إلى الحلول التوفيقية، إذ إننا نجد متلقياً يعرف لا لغة النص الأصلي، ولا ثقافة أصحاب لغته، لكنه يفهم النص إلى هذه الدرجة أو تلك بشكل مقنع حتى أنه يفهم التعبيرات القائمة على الثقافة، والتي تقاوم النقل أو الترجمة إلى أية لغة ليست غريبة عن ذلك المتلقي، كل هذا بسبب البنية التحتية العامة في لغة ذلك المتلقي، التي شكلت قاعدة لوجود تداخل ثقافي بين مجتمعين، سواء كانت درجة هذا التداخل كبيرة أم صغيرة.

وليس هذا، في حالة محددة، إلا صيغة قابلة للتنبؤ بما هو ثقافي شامل، وذلك بفضل بنية الإنسان البيولوجية والتشبه الكبير للبيئة في أجزاء العالم الآهلة بالسكان، ولأسباب متعددة تشكل ما سماه علماء الإناسة بالانتشار الثقافي Cultural diffusion الذي يجعل درجة التداخل تتفاوت بين مستويين، أقل و أكثر. ولذا يمكننا القول إن عملية النقل أو الترجمة ليست إلا ثمرة من ثمار التداخل الثقافي ودلالة من دلالاته. أن التداخل الثقافي يمكّننا من فهم البنية الدلالية في اللغات الأخرى بشكل عام. وهو ما يظهر في مؤلفات علماء اللسانيات الاجتماعية والإنسانية. ومن الخطأ الاعتقاد أن فهم البنية الدلالية في اللغات الأخرى يمكن أن يتم بهذه الطريقة، فهو ليس أكثر من فهم سطحي. إذ لا يتأتى الفهم الكامل لكثير من أشكال المعنى التي تنقلها قواعد اللغة ومفرداتها إلا من خلال فهم كامل للثقافة (أو الثقافات) الفاعِلَة. هناك جوانب محددة تعتمد فيها اللغة على الثقافة والثقافة على اللغة في الآن ذاته، لكن هذه الجوانب لم تُعط حق قدرها. ويرتبط بعض هذه الجوانب بتداخل اللغات وبمسألة النقل والترجمة، منها مثلا انخفاض الإنتشار الثقافي إلى درجة معينة يؤدي في بعض الأحيان إلى اختفاء الاختلافات الدلالية بين اللغات. كما أن اللجوء إلى الاقتراض والاستعارة من اللغات الأخرى في عملية الترجمة ليس سوى صورة من صور التداخل اللغوي ونتيجة واضحة للإنتشار الثقافي.

إن تداخل اللغات ظاهرة ترتبط بالترجمة التي تقوم على ازدواجية اللغة، وازدواجية اللغة ترتبط حتماً بازدواجية الثقافة. وعندما ندرس ازدواجية اللغة لا بد لنا أن نأخذ بعين الاعتبار أن الفرد مزدوج اللغة لا يتقن اللغة الثانية وحسب، بل يحمل في الآن ذاته ثقافة ثانية جديدة سيتجسد فيهم ما يمكن أن نسميه بـ (العجمة الثقافية)، وهي قريبة في طبيعتها من (العجمة اللغوية). يقول هاوغن: "عندما نلمس عجمة لغوية سنلمس عجمة ترتبط بالثقافة، وليست هذه العجمة إلا نتيجة للتداخل الناشيء عن تماس نموذجين لغويين، ونموذجين للسلوك. وكما يصعب التخلص من العجمة اللغوية، كذلك يصعب التخلص من العجمة الثقافية"[10].

وينظر فاينرايخ في هذه المسألة ويقول: "إن بعض علماء الإناسة لا ينظرون إلى الاحتكاك اللغوي إلا على أنه تماس ثقافي، كما أنهم لا ينظرون إلى التداخل اللغوي Interference إلا على أنه أحد تجليات تغلغل الثقافات، إحداها بالأخرى"[11]. وتتجلى هاتان الازدواجيتان بأسطع أشكالهما بالترجمة. يقوم "تداخل اللغات" على مرتكزات عدة من أهمها إمكانية زيادة الترميز في اللغة بالسحب من رصيد مفرداتها وبناء تعبيرات مركبة نستخدمها في سياقات خاصة

تمليها عملية الترجمة أوغيرها، وربما اكتسبت هذه التراكيب خصوصية في الدلالة لتصبح كالمفردة. وتعتمد زيادة الترميز هذه على انتاجية منظومة اللغة، أو ما يسميه تشومسكي بالإبداع المحكوم بقاعدة. وهي عملية تظهر في جميع الأوقات وفي أي سلوك لغوي. ويصبح استعمال الكثير من التعبيرات المركبة واسعة النطاق (مثلاً: سباق السواعد، الانهيار العصبي، مدمن المخدرات، العرض والطلب...) وسيأتي وقت يضطر فيه المتخصص في علم المعجم لأن يعترف إعترافاً تاماً بأن مثل هذه التغيرات صار لها الحق الكامل في دخول حقل مفردات اللغة، لأنها أحد أشكال التوسع والتطور اللغوي الذي يؤدي إلى توسع في مفردات اللغة.

وهناك مرتكز آخر هام يقوم على "تداخل اللغات" هو النحت بالاقتراض من مفردات اللغة الأخرى الذي يعني ترجمة حرفية لأجزاء التعبيرات المركبة الأجنبية، كأن تترجم مثلاً عبارة مثل "مؤتمر القمة" التي دخلت متن المفردات في استعمال الدبلوماسيين والصحفيين وغيرهم. إن ترجمة الاقتراض تصبح سهلة وبسيطة باستعمال كلمات مترابطة من حيث الصيغة، على الرغم من أنها لن تأخذ المعنى نفسه لو استعملت في سياق آخر غير السياق الذي استعملته ترجمة الأقتراض. إن كثيراً من الترجمات العادية الضرورية ترجمات افتراضية بسبب وجهة النظر التي تقول بوجود نسبة عالية من المفردات غير قابلة للترجمة من لغة إلى أخرى أكثر من النسبة الموجودة في الواقع. إن ما يجعل الترجمة صعبة ليس الأختلاف في تركيب المفردات (بما في ذلك الفروق بينها وعدم وجود بعضها) إذ يمكن للغات إلا تكون- في الغالب- متماثلة في تقسيماتها الدلالية للزمن وصيغة الفعل والعدد، ليس هذا ذات أهمية بالغة كما يعتقد هورف وغيره[12]. ولكن لهذه التقسيمات الدلالية الكثير من النتائج المتشابهة في النقل والترجمة. ولناخذ مثالاً بسيطاً: من الصعب أن نترجم إلى الروسية (أو كثير من لغات العلم الأخرى) ترجمة حرفية أية عبارة عربية تحوي على أدات للتعريف، لأن اللغة الروسية لا تميز في صرفها ونحوها بين التعريف والتنكير الذي يلعب دوراً نحوياً في اللغة العربية، ويلجأ المترجم في هذه الحالة أحياناً إلى حذف المعلومة الدلالية التي تنقلها أداة التعريف، وإذا لم يكن ممكناً فهم هذه المعلومة من السياق، وحَكَمَ المترجم بأهميتها وعدم الاستغناء عنها يلجأ إلى إضافة ما يلزم زيادةً على ما ورد في النص الأصلي، كأن يستخدم مثلاً اسم الإشارة "هذا" أو "ذاك" لكن اسم الإشارة أكثر تحديداً من دلالته من أدات التعريف. وما دمنا مهتمين بالتداخل اللغوي والتداخل الثقافي فإن علينا أن نقول: إن عملية الترجمة يمكن أن تتوقف على مدى التوافق والإختلاف في ثقافة مجتمعين لغويين، لكن،

على سبيل المثال، سيكون من الصعب تبرير النظرة التي تقول: إن وجود أداة التعريف في اللغة العربية وغيابها في الروسية أمر يتناسب مع الإختلاف الثقافي المتميز، وأن هناك كثيراً من الفروق في بنية المفردات والتراكيب النحوية التي تتناسب مع الفروق الثقافية في هذه اللغات المعينة. إن هذا سيكون فهماً مسطحاً إذا لم نرجع من أجل ذلك إلى مفهومي البنة التحتية العامة، والبنية الفوقية غير العامة في المنظومة اللغوية.

إن الترجمة التي تخفق في ضبط اختلاف الرموز والاستعارات والتركيز الثقافي في لغتي المصدر والهدف، وفي ضبط هذه الاختلافات وتحقيق توافق بينها لا يمكن أن تكون ترجمة صالحة.

لنأخذ أمثلةً شائعةً ومعروفةً في بلاد العالم الكلاسيكية كالسنسكريتية واليونانية والعربية. نجد في اللغة السنسكريتية كلمة dharma التي يمكن أن تترجم ترجمات مختلفة وفقاً للسياق الذي ترد فيه، حيث تترجم إلى "واجب، عادة، قانون، عدالة..." وغير ذلك. لكن معناها المكافىء يرتبط بكونها كلمة مستعارة (مقترضة)، ويعمد فهمها على معرفة بالثقافة وخاصة في المجتمعات البوذية والهندية، وهذا هو السبب الذي يجعل مثل هذه الكلمة تأخذ معناها المكافىء في الترجمة (في لغة الهدف). ونجد الأمر نفسه عند ترجمة كلمة Kismet التي استعارتها اللغتان الروسية والتركية من اللغة العربية (قسمة)، إذ لا بد من ارجاع هذه الكلمة على معناها الأصلي المحمّل بعبئه الثقافي. ويعتقد أن ترجمة كلمات مقترضة مثل dharwa ب (واجب) و kismet ب (قسمة) أو (قدر) أو (نصيب) لن ينقل الأهمة الفائقة التي تتسم بها دلالتها القائمة على أسس ثقافية.

وعندما يتناول علماء الإناسة واللسانيون لغات غير اليونانية أو العربية أو السنسكريتية وما تفرع عنها فإنهم يواجهون المشكلة نفسها، لأن تلك اللغات ليست واسعة الإنتشار و لم تستطع أن تحقق لنفسها تلك الأهمية الثقافية، أي إنها ليست "لغاتٍ ثقافية" بالمعنى الاصطلاحي. ويجب على هؤلاء الباحثين والمترجمين حينها أن يقرروا: هل يأخذون كلمة من لغة المجتمع الذي ينقلون منه (كما أخذت كلمة تابو taboo مثلاً في اللغة البولينيزية)، أم يستخدمون كلمة موجودة في اللغة التي ينقلون إليها لكي يتكيفوا معها، أم يلجؤون إلى ترجمة الاقتراض ليصفوا بها المجتمع الذي يبحثون في إحدى قضاياه؟.

لا اختلاف في نهاية الأمر بين عالم اللسانيات وعالم الإناسة واي فرد يوسع من دلالات مفردات لغته يزيدها بواسطة ترجمة الاقتراض، وهو ما يلجأ إليه المترجم عندما يتعامل مع لغتين لم تدخلا في إطار التداخل الثقافي، وهو ما لم يأخذه الأستاذ محمد كرد علي بعين الاعتبار في كلمته التي افتتحنا بها هذه المقالة.

الهوامش

(1) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- ج 18، ص 355

(2) د.عبده عبود. هجرة النصوص-دراسة. منشورات إتحاد الكتاب العرب بدمشق 1995، ص 11

(3) ف ب توغارينوف الطبيعة، الحضارة، الإنسان. ترجمة د.رضوان القضماني ونجم الدين خريط. دار الفارابي. بيروت 1987، ص 88-10

(4) د.عز الدين اسماعيل. أديولوجيا اللغة. مجلة فصول. المجلد 4 عدد/3, 1984, ص 42

(5) المرجع نفسه ص 37

(6) "التشارك الثقافي" هو النقيض المقابل "للغزو الثقافي"

(7) جون ليونز، اللغة والثقافة، ترجمة د.رضوان القضماني- د.أحمد القذافي، العدد 359، آب 1993، ص 42-43

(8) نفسه، ص 47-48

(9) بيتر نيومارك. الجامع في التربية، ترجمة د.حسن غزال، بدون تاريخ ولا مصدر، ص 126 (حصلت على نسختي الشخصية طازجة من الأسواق الليبية في طرابلس صيف 1993)

(10) د.رضوان القضماني، لسانيات الترجمة بين النظرية والتطبيق.مجلة جامعة البعث، العدد السادس، حمص 1989، ص 112-113

(11) المرجع نفسه، ص 112-113

(12) جون ليونز، المرجع نفسه، ص 54